قيم أدبية
فى
نظم الشاطبية

بحث من إعداد
د / محمد محمد خميس
استاذ مساعد الأدب والنقد
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين جامعة الأزهر
بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه

مدخل

لا يكون الكلام شعراً بتوفر عنصرى الوزن والقافية فقط، وهذا من الثوابت النقدية والأدبية ، فالعاطفة والخيال والإيقاع وما إلى ذلك من العناصر الرئيسة أمور ضرورية فى البنية الشعرية، وبدونها يتوصف الوزن والقافية فى أى كلام بالنظم [1] كما يكون ذلك فى ألفية ابن مالك فى النحو، وطيبة النشر فى القراءات، لابن الجزرى ونحو ذلك . وقد يكون من الشعر مايحمل أولى البصر به على تصنيفه فى غير بابه ، وهذا كثير فى الدراسات النقدية، ومن أقدمه مايروى عن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) أنه لم يستحسن من أبى عمرو الشيبانى استحسانه لقول القائل :

لا تحسبن الموت موت البلى
وانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا
أفظع من ذاك على كل حال

---

(١) أنظر أصول النقد الأدبى للدكتور الشايب ص ١٩٨ دار النهضة المصرية ١٩٧٣م .

وقال معلقا : « وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً، ولولا أن أدخل فى بعض القيل لزعمت أن ابنه أشعر منه، والمعانى فى الطريق يعرفها العربى والعجمى والبدوى والقروى، وإنما الشأن فى إقامة الوزن، وتميز اللفظ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من الصبغ، وجنس من التصوير» [٢] فما ذكره الجاحظ من الشعر معيب عنده لخلوه من عناية تصويرية، وروعة لفظية تعكس انتقاء وتخيرا، وهو لهذا مطروح سوقى كاطراح معناه. وقد يبلغ الشعر فى جودة التصوير، وروعة الألفاظ شأوا بعيدا، وذلك مع خلوه من معنى رائق، ومن ثم ينأى عن القبول ويحيد عن الإعجاب، فقد قال ابن قتيبة (٢٧٦هـ) فى معرض تقسيم الشعر : « وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك طائلا كقول القائل : [٣]

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولم يعرف الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطح

---

(٢) الحيوان للجاحظ ٣/٤٠ دا صادر بيروت ١٩٨٢م .

(٣) القائل هو : كثير عزة شاعر أموى .

وهذه الألفاظ أحسن شيء مطالع ومخارج ومقاطع ، فإذا مانظرت إلى ماتحتها وجدته : ولما قضينا أيام منى واستلمنا الأركان ، وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينظر من غدا الرائح ، ابتدأنا فى الحديث وسارت المطى فى الأبطح » [٤] فابن قتيبة لايرى (وهذه وجهة نظره) فى أبيات كثير إلا احتفاء بالألفاظ فى مطالعها ومخارجها ومقاطعها ، دون نظر إلى مردود فكرى تحمله عاطفة تفسر تجربة شعورية عميقة .

ولست بصدد تصويب ابن قتيبة أو تخطيئه فيما ذهب إليه من رأى فى الأبيات [٥] وإنما الغرض من ذكر رأيه ورأى سلفه الجاحظ الإشارة إلى اتجاهين فى استهجان أنواع من الشعر، أحدهما شكلى يقدم الصنعة والتصوير والزخرفة، وما يخلو من ذلك يجدر أن يكون نظما، ودون أن يكون شعرا ، والثانى مضمونى يقدم الفكرة والمعنى ، وما تسطح منهما من الشعر يكون حاله كسابقه الذى خلا من صنعة وتصوير .

وإذا كان من الشعر مايحمل أولى البصر به على تصنيفه نظما - كما مر - فإن من بعض النظم الذى شأنه العناية بالحقائق العلمية

---

(٤) الشعر والشعراء صـ ١٤ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨١ .

(٥) أنظر مذاهب النقد وقضاياه للدكتور عبد الرحمن عثمان صـ٢٠ ومابعدها مطابع شركة الإعلانات الشرقية ١٩٧٥ وفيما كتبه من آراءالنقاد فى أبيات كثير غناء عن التفصيل .

وقواعدها ، وصياغتها على بحور الشعر مايحمل على تصنيفه فى باب الشعر، وذلك حين يتجاوز حدود الوزن والقافية والمعانى العلمية إلى رحاب المعانى الطريفة والتصوير الجميل .

ومن المنظومات المشهورة فى تراثنا العربى (حرز الأمانى ووجه التهانى) فى القراءات السبعية، وهى منظومة للإمام الشاطبى، عنى فيها بضبط أصول وفرش القراءات كما صح عن القراء السبعة (٦) ورواتهم (٧) فى عدد ألف ومائة وسبعين وثلاثة من الأبيات كما يقول :

وأبياتها ألف تزيد ثلاثة
ومع مائة سبعين زهرا وكملا (٨)

والشأن فى نظم بهذا الحجم فى إطار غرض قرآنى أن يكون نظما تحكمه الحقيقة القرآنية والعلمية، ولا تسنح الفرصة فيه لإبراز قدرات أدبية، لما يحاط به من حرص وحذر ، لكن القارىء المتذوق

---

(٦) القراء السبعة هم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى .

(٧) الرواة هم : قالون وورش عن نافع . والبزى وقنبل عن ابن كثير . والدورى والسوسى عن أبى عمرو. وهشام وابن ذكوان عن ابن عامر . وحفص وشعبة عن عاصم . وخلف وخلاد عن حمزة وأبو الحارث والدورى عن الكسائى .

(٨) حرز الأمانى ووجه التهانى للشاطبي صـ ٩٥ مصطفى الحلبى سنة ١٩٣٧م .

يلمس بوضوح قدرة الشاطبى على تخفيف حدة الجفاف النظمى بمايورده بين حين وآخر من تعبيرات جميلة تحمل فى طياتها جدة وطرافة فى المعنى ، وجمالا فى التصوير .

وفيما يلى من صفحات عناية بهذا الجانب الأدبى فى منظومة الشاطبى لاستجلائه ، مع إلقاء ضوء كاشف على الناظم وبيان مكانته العلمية والأدبية .

تمهيد

١- تعريف بالناظم :

هو : القاسم [٩] بن فيره بن خلف بن أحمد الرعينى الشاطبى. ولد فى شاطبة الأندلسية عام ثمان وثلاثين وخمسمائة فنسب إليها.

قضى الشاطبى شطراً من حياته فى الأندلس، وفيها عنى بالعلم منذ صغره، وكان لفقد بصره أثر فى توجهه نحو القرآن وعلومه، فحفظ القراءات وأتقنها على شيوخ عصره، ثم تلقى علوم التفسير والحديث واللغة .

أما الشطر الثانى من حياته فقد أمضاه فى القاهرة بعدما طاب له المقام بها أثناء رحلته إلى الحج ، وقد أتيح له خلال ذلك أن يتزود بكثير من العلوم والفنون ، وأن يحظى بمكانة لدى أولى الأمر وطلاب العلم مكنته من الإقامة فى القاهرة ، ومن نشر علمه بها ، ولاسيما علم القراءات ، ورسم المصحف الشريف ، حيث ألف قصيدتيه المشهورتين فى القراءات والرسم على التوالى وهما :

(حرز الأمانى ووجه التهانى) و (عقيلة أتراب القصائد)

وهما تدلان على مقدرة فنية فى النظم ، وتشيان بما تنطويان عليه من جمال تعبيرى فى بعض المواضع بمقدرة فنية، وذوق رفيع يتمتع بهما الشاطبى .

---

(٩) انظر ترجمته فى : غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢/١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢ ونفح الطيب للمقرى ٢٤١/٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥ م .

وقد كان الشاطبى يعالج القريض أحيانا، ويعبر من خلاله عن أحاسيسه وتجاربه ، مما يدل أيضا على مقدرة فنية وحس أدبى، ومن ذلك مايروى عنه أنه قال [١٠] عندما دعاه أحد الأمراء لزيارته :

قل للأمير مقالة من ناصح فطن نبيه

إن الفقيه إذا أتى أبوابكم لاخير فيه

وهو تعبير عن روح الاعتزاز والالتزام لدى العلماء فى هذا الزمان، وتجلة للفقهاء أن ينزلقوا إلى مهاوى الإسفاف والمغريات فى بلاط الأمراء وغيرهم .

ومن ذلك أيضاً قوله فى تجربة الصداقة المخلصة : [١١]

خالقت أبناء الزمان فلم أجد

من لم أرم منه ارتيادى مخلصى

رد الشباب وقد مضى لسبيله

أهيا وأمكن من صديق مخلص

وتلك الآثار النصية فوق ما وصف به الشاطبى من كونه « إماما فى اللغة رأساً فى الأدب ، مع الزهد والولاية والعبادة ، والانقطاع والكشف » . [١٢]

---

(١٠) نفح الطيب ٢/٢٤١.

(١١) المرجع السابق نفس الموضع .

(١٢) غاية النهاية فى طبقات القراء ٢ /٢١ .

ولعل اشتغال الشاطبى بالقرآن وعلومه كان صارفا له عن الأدب وفنونه ، وعن التوجه إليه بالقصد ، وجاعله قانعا بمعالجة نتف منه فى نظمه أو فى بعض مواقفه وتجاربه .

توفى الشاطبى يرحمه الله سنة تسعين وخمسمائة من الهجرة فى القاهرة .

٢- وصف الشاطبية ومنزلتها :

أ- الشاطبية هى المنظومة المعروفة بحرز الأمانى ووجه التهانى، وهى طويلة كما سلف، وفى وصفها ومنزلتها يروى ابن الجزرى [١٣] أن الشاطبى : « رحل فاستوطن قاهرة مصر ، وأقرأ بها القرآن ، وبها ألف قصيدته هذه ، وذكر أنه ابتدأ أولها بالأندلس إلى قوله جعلت أبا جاد[١٤] ثم أكملها بالقاهرة » ثم يقول معلقاً : « قلت : ومن وقف على قصيدتيه [١٥] علم مقدار ما آتاه الله فى ذلك خصوصاً اللامية [١٦] التى عجز البلغاء بعده عن معارضتها ، فإنه لايعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها ، أو قابل بينها و بين ما نظم على طريقها » .

ويقول المقرى التلمسانى [١٧] : وقد سارت الركبان بقصيدتيه اللتين فى القراءات والرسم ، وحفظهما خلق كثير لا يحصون وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء وحذاق القراء .

(١٣) المرجع السابق ٢/٢٢ .
(١٤) البيت الخامس والأربعون .
(١٥) فى القراءات والرسم .
(١٦) المقصود بها حرز الأمانى .
(١٧) نفح الطيب ٢/٢٤٣ .

ب- تتوزع القصيدة فى حجمها الكبير إلى مقدمة وخاتمة بينهما ما يطلق عليه أهل العلم بالقراءات : أصولا وفرشا .

فى المقدمة حمد وثناء على الله ، وصلاة وسلام على النبى ﷺ ، ووصف للقرآن وأهله ، وبيان للقراء السبعة ومن روى عنهم ، ثم عرض للمنهج المتبع فى عرض القراءات والقراء ، وحديث ختامى عن المنظومة وناظمها وقارئها .

أما الأصول فهو مصطلح يقصد به فى علم القراءات القواعد المطردة للقراء والرواة فى كل سورالقرآن ، كالتسهيل والإمالة والتغليظ والفتح وحذف الياء ونحو ذلك . (١٨)

وأما الفرش فهو مصطلح للقراءات فى كل سورة على حدة . وفى الخاتمة نثر الشاطبى مجموعة من القضايا والأحكام كالتكبير وصفات الحروف ، ثم أنهى نظمه بمثل ما توخاه فى المقدمة من الدعاء إلى الله وحمده ، والصلاة على نبيه ﷺ وآله .

جـ- فى المنظومة من جهة المعنى والفكرة عرض للأحكام التى يجب على قارئ القرآن أن يلتزمها فى اتباعه لقراءة إمام من الأئمة السبعة الذين عناهم الشاطبى بقوله :

جزى الله باخيرات عنا أئمة
لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا

---

(١٨) أنظر الوافى فى شرح الشاطبية لعبد الفتاح القاضى ، ص ١٩٨ مطبعة عبد الرحمن محمد القاهرة .

فمنهم بدور سبعة قد توسطت

سماء العلا والعدل زهراً وكملا (١٩)

وعرض كذلك للكلمات القرآنية التى ورد خلاف فى كيفية قراءتها بين الأئمة المشار إليهم سلفا أو أحد رواتهم .

من الجهة العلمية برع الشاطبى فى إحكام نظمه على وفق ما اقتضته القواعد والأوجه القرآنية التى نقلها القراء والرواة بدقة وتواتر .

ومن الوجهة الأدبية استطاع الشاطبى بحسه وذوقه الأدبى، وقدرته اللغوية أن يوظف المعنى العلمى فى بعض الأحيان توظيفاً يتجاوز به الحقيقة والدلالة العلمية الى دلالات لغوية تعبيرية جميلة وتصويرية رائعة .

من جهة المتن الذى انتظم الأحكام والقراءات والقراء والرواة يجد القارئ طريقة غير مسبوقة استخدمها الشاطبى بإحكام وبراعة فى التوظيف العلمى والفنى أيضاً ، وتلك هى استخدام الرمز للإشارة إلى أحد القراء السبعة أو إلى عدد منهم ، وللإشارة أيضاً إلى حرف هجائى يتعامل معه القراء أو الرواة بشكل معين من أشكال الأداء كالإظهار أو الإدغام .

---

(١٩) شرح شعلة على الشاطبية ص ١٧ ، ١٨ المكتبة الأزهرية للتراث ١٩٩٧.

من الرموز المستخدمة ما هو حرف هجائى يبرز فى أول كلمة من الكلمات ومنها ما هو كلمة تامة اختارها الناظم ليرمز بها إلى عدد من القراء مثل (صحبه) التى ترمز إلى حمزة والكسائى وشعبة ، (وسما) التى ترمز إلى نافع وابن كثير وأبى عمرو .

وقد تجلى ذوق الشاطبى الأدبى فى توظيف هذه الرموز أحياناً توظيفاً أدبياً عكس جمالا تعبيرياً وتصويريا .

وفى المقدمة والخاتمة اتسع المجال للشاطبى لعرض صور أدبية ، ولا سيما عند الفراغ من القضايا العلمية إلى أمور أخرى عامة لها تعلق مّا بتلك القضايا .

د- على ضوء ماسبق يتبين أن دراسة الظواهر الأدبية عند الشاطبى فى منظومته أمر له أهميته ووجاهته وطريقته فى التناول ، وهى بحول الله كما يلى :

أولاً – دراسة الظواهر الأدبية فى المقدمة والخاتمة للتشابه الظاهر بينهما فى الأسلوب .

ثانياً – عرض الدلالات الأدبية للرموز العلمية فى الأصول أولاً ثم فى الفرش ثانياً ، ثم بيان القيم الجمالية غير الرمزية بعد ذلك فى كل من الأصول والفرش .

أولاً - الظواهـــر الأدبيـــة

فـــــى

المقدمـــة والخـــاتمـــة

أ- المقدمة :

١- يقول الشاطبى فى بيان عنوان نظمه :

وسميتها حرز الأمانى تيمنا

ووجه التهانى فاهنه متقبلا (٢٠)

وهى تسمية لطيفة ، مناسبة لما تتضمنه المنظومة من قراءات قرآنية هى غاية ما يتمنى طالب العلم أن يحصله من علوم ؛ وفى كونها حرزا لفتة بلاغية جميلة ؛ فمن شأن هذه القراءات أن تجد أوعية لحفظها، ولا أجود من أن يكون الحافظ حرزا ، وفى كون المنظومة كذلك صورة رائعة لأهميتها .

وفى كونها وجها للتهانى صورة أخرى لطيفة تؤازر جمال الصورة الأولى ؛ إذ من يحصل ما فى الحرز يحصل ما يستوجب التهنئة ، لشرف المحصل وعظمته وأهميته .

ولاشك أن العنوان يجمل المعنون ، ويدل على ذوق المعنون .

٢- اتسعت المقدمة لعرض كثير من الأمور المتعلقة بالقرآن والقراءات، وأتيحت الفرصة من ثم لعرض صور فنية مختلفة ، بعضها يدل على تأثر واضح بالقرآن وبالحديث النبوى ، أو بالتراث العربى ، وبعضها نتاج فكر ووجدان ذاتى .

وفيما يلى من شواهد يتبين هذا بوضوح :

---

(٢٠) حرز الأمانى للشاطبى ص ٨ .

أولاً :- فى تصوير قوة القرآن وأثره يقول :

وبعد فحبل الله فينا كتابه

فجاهد به حبل العدا متحبلا (٢١)

فى التعبير عن القرآن بالحبل صورة جميلة لقوة سببه وأثره فى وحدة المسلمين ، وقوة بأسهم ضد أعدائهم . وفى التحبل بالقرآن عند الجهاد صورة أخرى ذات أثر فى تأكيد الفوز والنصر على الأعداء ؛ فالمتحبل مَنْ تحبل الصيد إذا أخذه بالحبالة وهى الشبكة .

وهنا يبرز التأثر بالقرآن فى دعوته المؤمنين إلى التوحيد والتمسك بدين الله ، ونبذ الفرقة والخلاف .

﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (٢٢)

ثانياً :- وفى الحال التى يكون عليها قارئ القرآن العامل به ، السائر على نهجه، يضمن الشاطبى بيته :

وقارئه المرضىّ قر مثاله

كالاترج حاليه مريحا وموكلا (٢٣)

حديث رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب » (أخرجه البخارى ومسلم)

---

(٢١) السابق ص ٣ . (٢٢) آل عمران / ١٠٣ .

(٢٣) المرجع والموضوع السابق .

وفى هذا التضمين تصوير للنفع العام ، وللأثر العظيم المترتب على قراءة القرآن وذلك من خلال صورة فاكهة الأترج ذات النفع المتعدد والذى لا يتوقف عند تذوقها أكلا بل يتعداه إلى الاستمتاع بها شما .

ثالثاً – وفى تصوير حال القرآن مع أصحابه يوم القيامة ، وقبل ذلك فى الدنيا يقول :

وإن كتاب الله أوثق شافع
وأغنى غناء واهبا متفضلا (٢٤)

وفى كون القرآن أوثق شافع لتأكيد على نجاة أصحابه من عذاب وأهوال يوم القيامة ، وهذا المعنى مضمن من حديث رسول الله ﷺ :

« اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » (٢٥)

ولما كان المعنى بهذا النص فى الحديث الشريف كان التعبير بأوثق شافع فى بيت الشاطبى مصوراً فى جمال لا يدع مجالا للشك مبلغ النجاة للمستمسك بالقرآن والعامل به ، ويتجلى الجمال فى إسناد الثقة إلى القرآن والشفاعة إليه .

---

(٢٤) المرجع السابق ص ٤ .

(٢٥) صحيح الجامع الصغير للألبانى م ١ / ٢٥٧ المكتب الإسلامى بيروت ودمشق سنة ١٩٨٨م .

رابعاً :- فى الموقف من الشاطبية ، والتماس العذر للناظم عن بعض الهفوات ، تبرز الدعوة إلى روح الوفاق والتسامح والود فى قول الشاطبى :

وقل صادقا لولا الوئام وروحه
لطاح الأنام الكل فى الخلف والقلى (٢٦)

وفى التعبير عن الوفاق بالوئام جمال لفظى ينبثق من رقة اللفظ وعذوبته وجرسه الهادئ المعبر عن الوفاق وما يسوده من لين ، وفى عطف الروح على الوئام إيحاء بالحاجة إلى هذه الحال فى حياة المسلمين .

وفى البيت تضمين للمثل العربى :

لولا الوئام لهلك الأنام (٢٧)

خامساً :- ومن صور الفكر والوجدان الذاتى يقول الشاطبى فى دعوته إلى التسامح مع منظومته ، ومعاملتها بالنقد الرفيق .

أخى أيها المجتاز نظمى ببابه
يُنادى عليه كاسد السوق أجملا
وظن به خيرا وسامح نسيجه
بالاغضاء والحسنى وإن كان هلهلا (٢٨)

---

(٢٦) حرز الأمانى ص ٩ .

(٢٧) الأمثال للميدانى ١٦٣/٢ بيروت دار الحياة الطبعة الثانية .

(٢٨) حرز الأمانى ص ٩ .

وتلك دعوة متواضعة « كما قال كاسد السوق ، وإلا فهو ثوب فى غاية الصفاقة وسلعة فى غاية الرواج » . (٢٩)

والصورة الفنية هى المعنية بالتأمل هنا ، وهى فى البيت الأول جلية فى كون المنظومة سلعة كاسدة السوق - يجتازها الناس دون توقف أو طول التفات ووجب مع هذه الحال الدعوة إلى الترفق فى الحكم ، وعدم التسرع فى الفهم ، فمن شأن من يمر مروراً عابراً بسلعة ، أو قراءة عاجلة لنظم أن يبادر بأحكام قد لا يحالفها الصواب . وفى البيت الثانى تأتينا صورة أخرى طريفة لتلك المنظومة ، تتجلى فى كونها ثوبا مهلهلا ، وتلك نظرة صاحبها إليها من باب اتهام النفس بالتقصير ، والصورة توحى بالجهد المبذول فى نسج المنظومة وهو جهد يؤجر عليه صاحبه - إن شاء الله - كما جاء فى قول الناظم :

وسلم لإحدى الحسنيين إصابة
والأخرى اجتهاد رام صوباً فأمحلا (٣٠)

إشارة إلى الحديث الشريف :

﴿من اجتهد وأصاب فله أجر، ومن اجتهد فأخطأ فله أجران﴾ (٣١)

---

(٢٩) شرح شعلة ص ٤٩ . (٣٠) حرز الأمانى ص ٩ .

(٣١) ورد بمعناه فى صحيح مسلم وبنصه : إذا حكم الحاكم فاجتهد الخ انظر شرح النووى ٣/١٢ دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان ١٩٩٥م .

وفى استعارة الصوب لنجاح القصد، والمحل لخيبة الأمل ، صورتان معبرتان عن مدى الرجاء وعمق الفشل .

سادساً :- ويقول فى سياق التقصير فى جنب الله :

ولو أن عينا ساعدت لتوكفت
سحائبها بالدمع ديما وهطلا
ولكنها عن قسوة القلب قحطها
فيا ضيعة الآمال تمشى سبهللا (٣٢)

وهو هنا يبرز العيون فضاء واسعاً ، والمدامع فيها سحائب يرجى توكفها ، ولكنها بين إسعاف وخلف ، ولو تساعد فى حال التقصير فى حق الله لجادت سحائبها بالدمع ديما وهطلا ، وإنما يأتى الخلف من قسوة القلب . وفى إضافة القحط إلى العين صورة معبرة أبلغ تعبير عن حال لا تحمد للعين فى موقف يستوجب عكس ما هى عليه .

سابعاً :- ويقول فى حق من استهدى الى الله مفديا له بنفسه :

بنفسى من استهدى إلى الله وحده
وكان له القرآن شربا ومغسلا (٣٣)

وما أجمل أن يصور القرآن بأنه شرب ومغسل ، ففى تلك الصورة الرائعة لحقيقة هذا الدستور السماوى تتجلى الحياة فى

---

(٣٢) حرز الامانى ص ٩ .

(٣٣) المرجع والموضع نفسه .

أقوم معالمها ، ويتجلى الطهر فى أروع صوره ، وكل من يتجه إلى القرآن بكليته يكن شأنه السمو إلى مراتب الحياة القويمة ، والطهر من أدران الآثام والذنوب .

ب- الخاتمة

١- وفى الخاتمة يستفتح الناظم باب التكبير بالحديث عن القلب الإنسانى وما به حياته ونفعه ، فيرسم هذه الصورة الجميلة :

روى القلب ذكر الله فاستسق مقبلا

ولا تعد روض الذاكرين فتمحلا (٣٤)

فالقلب هنا أرض تحيا وتؤتى ثمارها بالرى ، ورواؤها ذكر الله تعالى .

وما أجمل وأنفع أن يكون الذكر ماء الحياة للقلوب ، وما أبلغ أن يكون القلب أرضاً تحيا بأسباب الحياة ، وتموت بالإهمال .

وتلك الصورة مستوحاة من آيات كثيرة فى القرآن تحث على الذكر وتثنى على الذاكرين .

وفى الشطر الثانى من البيت صورة جميلة لحلق الذكر ؛ فهى رياض والقلب فيها يحيا بالإيمان ، ويموت محلا فى البعد عنها .

٢- بعد عرض عدد من الأحكام التجويدية ختم الشاطبى منظومته بقوله :

---

(٣٤) المرجع السابق ص ٩٢ .

وقـــــد وفق الله الكريم بمنه

لإكمالها حسناء ميمونة الجلا . (٣٥)

وهنا صورة للمنظومة تشى بموقف ناظمها وصورتها فى نفسه ، وليس أدل على الرضا والحب من أن تكون المنظومة حسناء ظاهرة الحسن ، تتجلى فى أبهى زينة .

٣- وقوله أيضاً عن المنظومة :

وقد كسيت منها المعانى عناية

كما عريت عن كل عوراء مفصلا (٣٦)

ففى المقابلة بين كسيت وعريت جمال ، وفى كون المعانى تكتسى وتعرى جمال آخر كشف عنه التجسيم للمعانى .

وفى الصورة إيحاء بالجهد المبذول وما آل إليه أمر المنظومة من ضبط وعناية .

وهكذا تتجلى الصور فى الخاتمة ، وتتجلى القيم الأدبية على نمطها تجليها فى المقدمة ؛ إذ يظهر التأثير بالقرآن وبالحديث النبوى ، كما تبدو ملامح رؤى أخرى فى بعض الصور .

---

(٣٥)

(٣٦) المرجع والموضع نفسه .

الظواهـــر الأدبيـــة

فـــــــى

الأصـــــــول والـــفـرش

تقديم (*) عن الرمز ودلالته فى نظم الشاطبية

١- الرمز هنا يختلف تماما عن مفهوم الرمز فى الدراسات الأدبية الحديثة والمعنى به هنا ما جاء فى قول الشاطبى :

جعلت أبا جاد على كل قارىء
دليلاً على المنظوم أول أولا (٣٧)

فالأبجدية العربية المعروفة : (أبجد - هوز - حطى - كلمن - سعفص - قرشت) رمز بها الشاطبى إلى أئمة القراءات السبعة ورواتهم الأربعة عشر ؛ حيث جعل الألف فى أبج لنافع والباء لراويه قالون والجيم لراويه ورش ، وهكذا (٣٨) باقى الكلمات .

٢- كان من الطبعى أن تأتى الحروف الهجائية التى ذكرت للأئمة ورواتهم فى أوائل ألفاظ مختلفة ، مما من شأنه أن يجعل أمر هذه الألفاظ مرهوناً بمهمة الدلالة الرمزية فقط، ويستلزم هذا بلا شك أن ينسجم النظم ويستقيم، وتتسع الهوة الذوقية والجمالية، والمعنوية أحياناً بين النظم والمتلقى،

(*) أشرت سلفاً إلى الرمز ودلالته فى إجمال ، واستوجب الأمر هنا تفصيل القول في هذا التقديم ليتم بيان جوانب هذا الموضوع قبل دراسته من الوجهة الأدبية .

(٣٧) حرز الأمانى ص ٦ .

(٣٨) انظر فى تفصيل ذلك المرجع السابق ص ٦ وما بعدها .

ويشعر القارئ بسيل من الألفاظ فارغ من محتواه، له جفاف وسماجة، لكن الشاطبى بذل جهداً واضحاً فى العناية بالمعانى والألفاظ العلمية من جهة، وبتوظيفها لتعكس فى أحيان كثيرة دلالات لغوية جميلة ، وتركيبية طريفة ، وتصويرية رائعة ، وهو بهذا يخفف من حدة الدلالة الرمزية الجافة ، ويرتفع بالرمز إلى آفاق ذوقية جميلة ويساعده على ذلك مخزون لغوى وفير ، وبصر بمواقع الجمال فى الكلام .

٣- ولم يكن أمر الرمز عند الشاطبى موقوفاً على اختيار حروف هجائية للدلالة على القراء ورواتهم ، فهناك أيضاً كلمات تامة - كما سبق - تدل على عدد من القراء والرواة يجتمعون على وجه من وجوه القراءة فى الكلمة ، بل هناك حروف تدل على هذا الاجتماع .

والأمر فى توظيف الكلمات التى تحمل رموزاً حرفية قد تيسر للناظم للمرونة المتاحة فى اختيار هذه الكلمات والقدرة على تركيبها وتوظيفها .

لكن الأمر قد تعسر فى توظيف الرمز الجماعى ، لتحديد معناه بتحديد لفظه ولئن وجدت فرصة لتوظيفه معنويا إن الفرصة فى توظيفه جمالياً باتت عسيرة .

٤- إن أبرز القيم الأدبية تبرز عند الشاطبى فى الأصول والفرش عند استخدام الرمز ، وهنا نلحظ أن الأبواب الأصولية التى

استقل بها أحد القراء أو الرواة ، أو الأحكام الخاصة لبعض القراء أو الرواة فى سياق أحد الأبواب الأصولية ، والتى يطول فيها الكلام ، أو عند الحديث الصريح عن القارئ دون استخدام رمزه – نلحظ . أن المجال لا يتسع لتوظيف الرمز فى دلالات أدبية .

٥- لا نعدم الدلالة الأدبية فى الأصول والفرش فى غير المجال الرمزى بل يوجد منها صور بين حين وآخر .

٦- بعد هذا التقديم الذى تجلى فيه معلم الرمز فى نظم الشاطبية أتناول الدلالة الرمزية فى انعكاساتها التعبيرية والتصويرية ، ثم أبرز بعض الأمثلة لقيم أخرى فى غير مجال الرمز. وذلك فى الأصول أولا ثم فى الفرش ثانياً .

أولاً : الأصول :

أ- القيم المعنوية للرمز :

ارتفع الشاطبى بالرمز عن حد دلالته العلمية المحددة ، إلى دلالات معنوية من معطيات التوظيف اللغوى للكلمة التى حملت الرمز على صدرها .

١- وقد جاء هذا التوظيف فى أكثر مواضعه يبرز الانسجام اللغوى مع السياق العلمى كقول الناظم :

وبسـمل بين السـورتين بسنة
رجـال نموها درية وتحـملا (٣٩)

فالحكم العلمى هو البسملة بين السورتين ، والآخذ بهذا الحكم من القراء : قالون المرموز له بالباء من ككمة (بسنة) والكسائى المرموز له بالراء من كلمة «رجال» وعاصم المرموز له بكلمة «نموها» وابن كثير المرموز له بالدال من كلمة «درية» وتلك الكلمات الرمزية دلت على أن القراءة بالبسملة بين السورتين سنة نقلت عن رجال ثقات فنمت واشتهرت ، وذلك انسجام واضح بين المفهوم العلمى والمفهوم اللغوى السياقى .

٢- ومن نماذج الانسجام اللغوى فى دلالته الانتقالية مع المفهوم العلمى الأصلى قوله :

---

(٣٩) حرز الأمانى ص ١١ .

ومـــــالك يوم الدين راوية ناصـــــر
وعند صـــراط والصـــراط لقنبـــلا (٤٠)

وموضع الشاهد فى الشطر الأول حيث ورد فيه نسبة قراءة مالك بإثبات الألف فى قوله تعالى ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٤١) للإمامين : الكسائى وعاصم ، حيث ورد الرمز لهما فى صدر الكلمتين : راويه – ناصر – ومع هذه الدلالة الرمزية للكلمتين تتجلى الدلالة المعنوية الجميلة وتفيد أن من قرأ بهذا الوجه وهو إثبات الألف روى ذلك مناصراً له ومؤيداً .

٣- وقد يأتى الانسجام اللغوى فى صورة أخرى غير السابقة ، وله فى ذلك عدة أمثلة منها :

أن يكون انسجاماً مع طبيعة الهيئة التى تقرأ بها الكلمة القرآنية كقوله :

له الرحب والزلزال خـــيـــرا يره بهـــا
وشـرا يره حـرفـيـه سكن ليـسـهـلا (٤٢)

أفادت أن قراءة التسكين فى كلمة (يره) فى سورة الزلزلة سهلة على اللسان ذات وقع جميل فى الأسماع .

ومنها أن يكون انسجاماً مع دلالة الكلمة القرآنية كقوله :

وفى الفـــجـــر بالوادى دنا جـــريانه
وفى الوقف بالوجـهين وافق قنبـــلا (٤٣)

---

(٤٠) المرجع والموضع نفسه . (٤١) الفاتحة / ٤ .
(٤٢) المرجع السابق ص ٤٦ . (٤٣) السابق ص ٣٧ .

فالرمز (دنا جريانه) لابن كثير وورش ، وهما يثبتان الباء فى كلمة (الواد) فى سورة الفجر، وللرمز دلالة لغوية جميلة تنسجم مع دلالة الكلمة القرآنية .

ولا يخفى على أحد جريان الماء المتوقع كثيرا فى الوادى!؟

ومنها أن يكون انسجاماً مع وجه من وجوه القراءة كقوله :

وإضجاع أنصارى تميم (٤٤) ... ...

فالرمز فى (تميم) يشير إلى الدورى عن الكسائى، وهو يقرأ بالإمالة فى كلمة (أنصارى) حيث وقعت ، وتلك قراءة قبيلة تميم كما يستفاد من الدلالة اللغوية للرمز .

٤- وقد يأتى المعنى اللغوى عاما يربطه بالمعنى العلمى رابط ملحوظ ، ومن ذلك :

ومهما يكونا كلمتين فمدغم

أوائل كلم البيت بعد على الولا

شفا لم تضق نفسها بها رم دواضن

ثوى كان ذا حسن سآى منه قد جلا (٤٥)

فكل كلمة فى البيت الثانى تحمل رمزا فى صدرها يدل على حروف هجائية إذا وردت فى أواخر كلمات قرآنية أدغمت فيما يقاربها من الحروف للسوسى عن أبى عمرو . والرموز فى البيت كله

---

(٤٤) السابق ص ٢٩ .

(٤٥) السابق ١٤ وشرح شعلة ص ٨٥ .

تدل على معنى لغوى جميل هو دعوة إلى الاستشفاء من الضنى الذى يحل بالنفس لتتسع هذه النفس بالعافية ، وتنجو من السوء ؛ ولا شك أن من علم عن دراية بطلب العلم كيفية الادغام للسوسى بالشروط المذكورة حصل عنده شفاء من الجهل وسعدت نفسه بحلاوة العلم ؛ وذلك هو الرابط بين المعنى العلمى والمعنى العام .

ب- القيم التصويرية للرمز :

وفى الأصول مواضع متعددة لقيم تصويرية للرموز العلمية ؛ ومن خلال ما يلى من النماذج يتجلى ذوق الشاطبى فى التوظيف الأدبى لتلك الرموز :

١- في باب هاء الكناية يذكر الشاطبى تسكين أواخر كلمات (يؤده - نوله - نصله - نؤته - ألقه - يتقه) فى مواضعها من سور القرآن ، وهذا التسكين لعدد من القراء رمز إليهم بالحروف فى أوائل كلمات (فاعتبر - صافيا - حلا) و (حمى - صفوه - قوم) وهو ينتقل من هذه الدلالات الرمزية إلى دلالة تركيبية تصويرية تبرز القراءة بالتسكين لما ذكر من كلمات فى معرض جميل ؛ فهى قراءة عذبة حلوة نقلت بحجج مختلفة ، وصانها من نقلها بعد أن ذاق حلاوتها ، وهى منهل عذب صاف يروى الظمآن ، ويشفى غلته :

وسكن يؤده مع نوله ونصله
ونؤته منها فاعتبر صافيا حلا

وعنهم وعن حفص فألقه ويتقه

حِمى صِفوه قِوم بخلف وأنهلا [٤٦]

٢- وفى الباب نفسه أيضاً ، وفى سياق الحديث عن تسكين كلمة (يرضه) فى سورة الزمر لعدد من القراء رمز إليهم بالحروف فى أوائل كلمات (يمنه لبس طيب) ينتقل الرمز من دلالته العلمية تلك، إلى دلالة تصويرية تجعل شكر النعمة رداء طيبا يكسو الشاكر :

وإسكان يرضه يمنه لبس طيب [٤٧] ... .

٣- فى باب ذال إذ وأخواتها وما تدغمُ أو تظهر عنده من حروف يستخدم الرمز العلمى للدلالة على الحروف المدغمة أو المظهرة ، ويستخدم أيضاً للدلالة على القراء والرواة كالعادة ؛ وفى الحالتين يجد الشاطبى قدرة خيالية لإبداع صور جميلة ، وتسعفه التسمية الأنثوية لذال إذ ودال قد وتاء التأنيث وغيرها، فينتقل من الدلالة العلمية إلى تصوير حسناء جميلة يفتن فى وصفها فى كل باب، ويختار لها اسم زينب .

فهى فى باب ذال إذ حسناء فائقة الجمال تمشى فى دلال فتعطف إليها العيون والقلوب بغية الوصال ، وتظهر فيفوح عبقها الدائم وجمالها الأخاذ، فيصفها الرائى بحديث مؤثر كتأثير الطيب ، ولا يملك قلبه الذى يتعلق بها ولا يتحول عنها ويضيق ذرعا بالبعد عنها، ولا يجد سلوة عن حبها .

---

(٤٦) حرز الأمانى ص ١٥ . (٤٧) المرجع السابق ص ١٦ .

وهكذا ينجح الشاطبى فى تحويل الرموز كلها فى (ذال إذ) إلى تلك الصورة الأدبية الوصفية :

نعم إذ تمشت زينب صـــال دلهـــا
ســمى جـــمـــال واصـــلا من توصـــلا
فـإظهـارها أجـرى دوام نسـيـمـهـا
وأظهـــــر ريا قـــــوله واصف جـــــلا
وأدغـــم ضـــنـــكـــا واصـــل تـــوم دره
وأدغـم مـــــولى وجـــــده دائم ولا (٤٨)

ومـا أروع التعبير عن المداوم للوصل بصورة الذى ينظم سلك الدر فى قلادة جميلة مع حرصه على النظم والإبداع ! وما أجمل أن يكون للحديث رائحة !

٤- وفى دال قد تظهر (زينب الحسناء) - كـمـا تعكس الرموز العلمية - فى ثوب ضاف تعبث به الريح فتظهر منه رائحة طيبة تسكر الأنوف مرة بعد أخرى ثم هى تمشى ليلا فيبديها للرؤية نجم ساطع ، ويقف منها المحب فى ظمأ وضنى ساتراً ما يكنه فى نفسه، مخفيا ما يجده منها فى قلبه حرصا عليها ، ولو أنه كشف لواعج قلبه لخفت حدة شوقه وصبوته :

وقـد ســحـبت ذيلا ضـفـا ظل زرنب
جلتـــه صـــبـــاه شـــائقـــا ومـــعللا

---

(٤٨) السابق ص ٢٣ .

فـــأظهـــرها نجـم بدا دل واضـــحـــا

وأدغـم ورش ضـــر ظمـــآن وامـــتـــلا

وأدغـم مـــرو واكف ضـــيـــر ذابل

زوى ظله وغـــر تســـداه كلكلا (٤٩)

وفى المقابلة بين الإظهار والإدغام فى البيت الثانى جمال ، وفى تصوير العاشق الذى أضناه الحب نباتا تلاشى ظله ذبولا جمال آخر . وفى تصوير الوصل بالمطر الذى يروى النبات الذابل فيبث فيه الحياة والنمو من جديد بيان لأثر الوصل في حياة المحبين وأهميته ، كما أن صورة الظل المجموع تعبر فى جمال واضح عن النحول والهزال انعكاساً من صورة الذبول فى النبات .

٥- وفى تاء التأنيث (٥٠) تبدو الحسناء ذات ثغر جميل فتان ، فهو منظومة أسنان صفت مياهها، وظهر بريقها، وبدا بردها، وفاح ريحها الطيب ، وما أجمل الأسنان أن تكون على هذا النحو !

وأبدت سنا ثغر صفت زرق ظلمه

جـــمـــعن ورود باردا عطر الطلا

وإظهار زينب لثغرها كإظهار لدر يزداد إشراقاً إذا انعكس عليه ضوء البدر :

فـإظهـارهـا در نمتـه بـدوره ....

---

(٤٩) السابق ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٥٠) المرجع السابق ص ٢٤ .

جـ - وهناك بعض القيم الجمالية الخارجة عن نطاق الرمز العلمى ، وهى قليلة - كما أسلفت - ومنها :

١- فى باب البسملة يذكر الشاطبى خلافا فى البسملة بين السورتين لبعض القراء ، ويجعل هذا الخلاف جميلا ومحبوبا إذ يصوره حسناء ذات جيد واضح :

ولا نص كـــلا حب وجـــه ذكـــرته
وفيها خلاف جيده واضح الطلا (٥١)

٢- وفى باب وقف حمزة وهشام علي الهمز جعل الشاطبى وجوه قراءة الهمز طرقا ، وجعل العلم بهذه الوجوه أو الطرق نوراً يضئ الهمز ويوضحه ، والجهل بها ليلا مظلما يعتمه :

وفى الهـــمـــز أنحـــاء وعند نحـــاته
يضيء سناه كلمـــا اســـود أليـــلا (٥٢)

٣- وفى باب الفتح والإمالة جعل الشاطبى العلم بالإمالة فى (أتأنى الله) فى سورة النمل ، و (أتانى الكتاب) فى سورة مريم مندلا يفوح منه الشذى :

وفـــيـــهـــا وفى طـسن أتانى الذى
أذعت به حـــتى تضـــوع مندلا (٥٣)

---

(٥١) السابق ص ١١ .

(٥٢) السابق ص ٢٣ .

(٥٣) السابق ص ٢٧ .

ثانياً :- الفرش

أ- القيم المعنوية

تتنوع القيم التعبيرية المعنوية فى الفرش كما كان الحال فى الأصول، ويفيد المدلول اللغوى للرمز إفادات بالغة من خلال تنوعه ، ويبرز التناسق بينه وبين المدلول العلمى للرمز كأثر لقدرة الناظم على التوظيف والتركيب ؛ وفيما يلى من نماذج يتبين كل هذا بوضوح :

١- فوق الدلالة العلمية يوظف الشاطبى الرموز فى الإطار المعنوى اللغوى لبيان علة القراءة بوجه من وجوهها ، أو لبيان أرجحيتها فى وجه ما، أو تزكية من أخذ بوجه من وجوه القراءات فى كلمة قرآنية ، وفى سورة البقرة ترد كل هذه الدلالات المعنوية .

فى قراءة الإشمام (٥٤) الواردة فى عدة كلمات . فيقول الناظم (٥٥) :

وقيل وغيض ثم جيء يشمها
لدى كسرها ضما رجال لتكملا

---

(٥٤) الإشمام هو : النطق بالحرف الأول بحالة بين الضمة والكسرة ، وبالحرف الثانى بحالة بين الواو والياء وانظر شرح شعله ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٥٥) حرز الأمانى ص ٣٨ .

فالرمز العلمى يكمن فى (رجال لتكملا) ومع دلالته على الكسائى وهشام يتبلور فى دلالة تركيبية لغوية تفيد تزكية من قرأ بهذا الوجه فهم : رجال . وتفيد علة القراءة بهذا الوجه ؛ فقد قرئ كذلك : لتكمل الدلالة على الصحة والاعتلال فى هذه الكلمات .

ويقول فى السياق نفسه .

وحيل بإشمام وسيق كما رسا

وسيء وسيئت كان راوية أنبلا

وهو يشير من خلال الرمز العلمى (كان راويه أنبلا) إلى قوة القراءة بوجه الإشمام فى حيل وسيق وسئ وسيئت .

٢- ويقول فى سورة البقرة أيضاً :

وها هو بعد الواو والفا ولامها

وها هى أسكن راضيا باردا حلا (٥٦)

فراضيا وباردا حلا رموز للكسائى وقالون وأبى عمرو ، وهم الذين أخذوا بوجه الإسكان فى الهاء من هو وهى إذا وقعتا بعد الواو والفاء واللام ، وتلك الرموز تدل من جهة أخرى دلالة معنوية تفيد الرضا الجميل بهذه القراءة ؛ وهو مستفاد من كلمتى بارد وحلا اللتين شبهت بهما قراءة التسكين .

---

(٥٦) المرجع والموضع السابق .

٣- ويقول موظفاً الرمز فى لفت النظر إلى وجه من وجوه قراءة الكلمة القرآنية :

وفى ربوة فى المؤمنين وها هنا

على فتح ضم الراء نبهت كفلا (٥٧)

فقد دل الرمز العلمى على من قرأ بفتح الراء فى ربوة ، وأفاد فى دلالته اللغوية لفت النظر إلى جمال هذه القراءة .

٤- وفى مدح القراء والقراءة يقول :

ويا ويكفر عن كرام وجزمه

أتى شافيا والغير بالرفع وكلا (٥٨)

فالقراءة بالياء فى (يكفر) فى سورة البقرة وردت عن حفص وابن عامر وهم كرام . وجزم الراء فى نفس الكلمة يمتع النفس ويشفى غلتها ويلفتها إلى لون من ألوان الإعجاز فى القرآن متمثلاً فى أنواع قراءاته .

٥- وفى تحقيق الانسجام بين المدلولين : العلمى واللغوى للرمز تأتينا شواهد كثيرة منها قوله :

وكفارة نون طعام برفع خفضه دم

غنى واقصر قياماً له ملا (٥٩)

---

(٥٧) السابق ص ٤٤. (٥٨) السابق ص ٤٥ .

(٥٩) السابق ص ٥٢ .

والشاهد فى قوله : دم غنى ، وهو دعاء لمن يقرأ بالتنوين فى (كفارة) والرفع فى (طعام) فى سورة المائدة ، ويأتى هذا الدعاء جميلا فى معناه بعد ذكر إطعام المسكين المعدم ، وتلك دلالة لغوية جميلة للرمز العلمى .

ب- أما القيم التصويرية فى فرش السور فلم يكن لها حظ التوسع والكثرة كنظيرتها فى الأصول ؛ فقد أتى بها الناظم قليلة متفرقة مصروفاً بها إلى الدلالات العلمية ، ومهتما ببعض الدلالات اللغوية ؛ وهذه بعض الشواهد التى توضح هذه القيم فى الفرش .

١- جعل الشاطبى القراءة بإخفاء كسر العين فى كلمة (نعما) فى سورتى :

البقرة والنساء صياغة جميلة كصياغة الحلى :

نعما معا فى النون فتح كما شفا

وإخفاء كسر العين صيغ به حَلا (٦٠)

فالرمز العلمى الذى دل على شعبه وقالون وابى عمرو (صيغ به حلا) يبرع الشاطبى فى توظيفه بهذا التركيب فيعكس هذه الصورة الجميلة : صياغة الحلى وما فيها من مهارة وإتقان ، وذلك يوحى بما يلزم القارئ بهذا الوجه من دقة وإتقان ومهارة .

٢- يشبه القراءة بإسكان الصاد ومدها أو قصرها مع تخفيف العين فى كلمة (يصعد) فى سورة الأنعام - يشبهها - بالصندل

---

(٦٠) السابق ص ٤٥ .

ويصعد خف ساكن دم وماده

صحيح وخف العين داوم صندلا (٦١)

ولا شك أن هذه الصورة توحى بأثر القراءة بهذا الوجه ، فهو أثر طيب ودائم كعبق الصندل الدائم . وكل هذا قد استفيد من الدلالة الرمزية كما هو واضح .

٣- والقراءة بالياء مع جزم الراء فى قوله تعالى (ويذرهم) فى سورة الأعراف قراءة جميلة معبرة ، وهذا واضح من توظيف للرمز العلمى (غصن) الدال على عدد من القراء . فقد أفاد الجمال والفائدة ؛ إذ الغصن المتهدل يوحى بكثرة الثمار، ويشعر بالجمال والفائدة :

... ... وجزمهم يذرهم شفا والياء غصن تهدلا (٦٢)

٤- والقراءة بالياء فى (لأهب لك غلاما) فى سورة مريم كالماء العذب الجارى :

وهمز أهب باليا جرى حلو بحره (٦٣) ... ...

وإذا كانت الصورة ماء عذبا ينساب فى بحره ، فالقراءة بالياء فى (لأهب) تكون على هذا النحو من العذوبة والسلاسة والجمال والحلاوة ، وكل ذلك مستفاد من التوظيف التصويرى للرمز العلمى.

---

(٦١) السابق ص ٥٥ .

(٦٢) السابق ص ٥٨ .

(٦٣) السابق ص ٧٠ .

٥- و (كم جيده حلا) عبارة يوصف بها الإعجاب بجيد حسناء، وهو رمز لابن عامر وورش وأبى عمرو من القراء ، ووظف فى ذات اللحظة ليعبر عن جمال القراءة بكسر اللام فى قوله تعالى :

ثم (ليقطع) فى سورة الحج :

... ... **ليقطع بكسر اللام كم جيده حلا** (٦٤)

جـ - وهناك بعض اللمحات التصويرية غير الرمزية تظهر بندرة فى فرش السور ، ومنها ما ورد في فرش سورة الأنعام ، فبعد بيان ما ورد من أوجه فى كلمة (اقتده) عبر الناظم تعبيرا تصويرا جميلا لقراءة الوقف بالسكون على الهاء فقال !

ومد بخلف ماج والكل واقف

بإسكانه يذكو عبيرا ومندلا

فالأثر الإيقاعى الجميل فى السمع ، والمعنوى فى الوجدان للقراءة على هذا النحو يبرز واضحاً من الشذى الرائع المتجسد فى العبير والمندل اللذان عبقت بهما الصورة .

---

(٦٤) السابق ص ٧٣ .

الخـاتـمـــــة

١- منظومة الشاطبى فى القراءات ليست ديوانا شعريا يقف منه القارئ والباحث موقف المحاسبة والنقد، إزاء عمل أدبى متقصد، فالشاطبى ناظم وليس شاعراً، ولم يدع هو ولا غيره أن عمله كان عملا أدبيا، فالحقيقة القرآنية كانت هى الغاية والهدف والمغزى والغرض، ومن ثم توجهت العناية إلى ضبطها فى هذا النظم الفريد، ولأن الرجل كان صاحب ذوق وبصر بجمال الكلام ومواقعه - وكيف لا يكون كذلك وقد كان أجمل كلام غذاؤه ومدده ، وهو القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف - فقد كان يسعفه ذوقه وحسه وخياله ببث صور جميلة تعبيرية وتصويرية بين لحظة وأخرى مستجيبا لمتعة شخصية من جهة ، ومخففا ومجملا لنظمه من جهة أخرى، ولا حرج عليه فى فعل ذلك، بل يحسب ذلك له فى باب المقدرة الفنية، ولا حرج أيضاً على قارئ نظمه وباحثه إذا تذوق هذه الصور واستمتع بها، أو تعرض لها ببحث ودراسة ، مستجيبا لدعوة الناظم المتواضعة :

وتمت بحمد اللـــــه فى الخلق سهلة
منزهة عن منطق الهجر مقولا
ولكنها تبغى من النـــــاس كفأهـــا
أخـا ثقة يعفو ويغضى تجملا

٣- المردود اللغوى فى التوظيف وفير عند الشاطبى مما يدل على باع طويل فى علوم اللغة وأسرارها، والتأثر بالقرآن الكريم وبالحديث النبوى تجلى واضحاً فى صور كثيرة مبرزاً جمال القران والحديث فى نفسه، ومبينا مدى إدراكه لأسرار الإعجاز فى القرآن .

٤- عكست بعض الصور استفادة الشاطبى من التراث العربى وتأثره به ، وفهمه لأغواره وأسراره .

٥- كان الشاطبى ضريراً ، ومن ثم استعان كثيراً بتوظيف حاسة الشم واللمس فى إفراز بعض الصور الجمالية ، ونراه يعرض كثيرا للطيب والعبير والصندل والمندل .

٦- على الرغم مما ورد فى المنظومة من صور أنثوية لم ينزلق الشاطبى إلى هجر فى القول أو فحش فى العبارة .

٧- لم أكن كفؤا لهذه الدراسة كما اشترط الشاطبى ، وحسبى مقصد الوفاء .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

«وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أصول النقد الأدبى :

– الدكتور أحمد الشايب – دار النهضة المصرية ١٩٧٣م.

- حرز الأمانى ووجه التهانى :

القاسم بن فيرُّه بن خلف الشاطبى (ت ٥٩٠ هـ) – مصطفى الحلبى ١٩٣٧م .

- الحيوان :

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) دار صعب ببيروت ١٩٨٢م .

- شرح شعلة (كنز المعانى) :

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسين الموصلى (ت ٦٥٦ هـ) المكتبة الأزهرية سنة ١٩٩٧ .

- الشعر والشعراء :

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى (ت ٢٧٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨١م .

- صحيح الجامع الصغير :

الألبانى : محمد ناصر الألبانى– المكتب الإسلامى ١٩٨٨م.

- **غاية النهاية فى طبقات القراء :**

ابن الجزرى : محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) دار الكتب العلمية ١٩٨٢م .

مجمع الأمثال :

الميدانى : أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى (ت ٥١٨ هـ) مكتبة الحياة ط ٢ .

مذاهب النقد وقضاياه :

الدكتور عبد الرحمن عثمان – مطابع الإعلانات الشرقية ١٩٧٥م .

نفح الطيب :

المقرى التلمسانى : أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) دار الكتب العلمية ١٩٩٥م .

الوافى فى شرح القراءات :

عبدالفتاح القاضى – مطبعة عبد الرحمن محمد .